

توظيف التكنولوجيات الحديثة في البحث العلمي بين المشروع والمحذور على ضوء الإيجابيات والسلبيات- الإنترنت أنموذجا-

د. عماد بن عامر

جامعة البليدة 2-البليدة(الجزائر)

aimadben@gmail.com

ملخص:

جاء هذا البحث الموسوم بـ (توظيف التكنولوجيات الحديثة في البحث العلمي بين المشروع والمحذور على ضوء الإيجابيات والسلبيات- الإنترنت أنموذجا-)، ليجيب عن إشكالية مهمة، تتعلق بالبحث العلمي، والمتمثلة في السؤال الآتي: ما حكم استعمال التقنيات الحديثة- خصوصا الشبكة العنكبوتية الإنترنت- في البحث العلمي، من حيث الدقة والتحري والأمانة؟، وما الإيجابيات والسلبيات؟

وقد انتظم بحثي في ثلاثة مباحث رئيسة مع المقدمة والخاتمة.

عالجت في المبحث الأول: المنظور الشرعي لوسائل التواصل الحديثة، فخلصت إلى عدم وجود أدلة تفصيلية تضبط المسألة، وأنها من المسائل المسكوت عنها، فتنتظم تحت مبدأ المصالح المرسلة.

وتطرقت في المبحث الثاني لأهم استعمالات الإنترنت العلمية، مع ذكر النماذج الواقعية، من المصادر الموثوقة.

وخصصت المبحث الثالث للمقارنة بين الإيجابيات والسلبيات، للوصول إلى حكم فيصل في مسألتنا.

الكلمات المفتاحية: التكنولوجيات الحديثة; شبكة الإنترنت; البحث العلمي; الإيجابيات والسلبيات; المصالح المرسلة; الأمانة العلمية; السرقة العلمية; الدقة العلمية.

Summar:

This research, entitled "The Use of New Technologies in Scientific Research," is an important problem. What is the ruling on the use of modern technologies - especially the Internet - in scientific research, in terms of accuracy, investigation and honesty? What are the pros and cons?

My research was organized into three main sections with the introduction and the conclusion.

I dealt with the first topic: the rule of Sharia in the modern means of communication, and reached the lack of detailed evidence in the matter, and it is one of the issues silent, organized under the principle of interests sent.

The second topic deals with the most important uses of scientific internet, with the mention of realistic models, from reliable sources.

The third topic is devoted to comparing pros and cons, in order to arrive at a precise judgment on our issue

key words :Modern technologies; World wide web; Research; Pros and Cons; Sent interests; Scientific Secretariat; Scientific theft; Scientific accuracy...

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا بحث علمي مقدم للندوة العلمية المنعقدة بجامعة البليدة 2، في إطار الندوات التي تقدم لطلبة الدراسات العليا، من أجل تحسين أداءهم البحثي، وتطوير قدراتهم العلمية، وقد اخترت عنوان بحثي ضمن المحاور الثالث: (توظيف التكنولوجيات الحديثة في البحث العلمي بين المشروع والمحظور على ضوء الإيجابيات والسلبيات- الانترنت أنموذجا-)، وقد ارتكز موضوع بحثي على إشكالية هامة، وهي: استعمال التقنيات الحديثة- وعلى رأسها الشبكة العنكبوتية- في مجال البحث العلمي، بين الإيجابيات والسلبيات، وما الحكم الشرعي والأخلاقي لهذا الاستعمال؟.

ولمناقشة هذه الإشكالية، انتظم بحثي في ثلاثة مباحث رئيسة مع المقدمة والخاتمة:

- المبحث الأول: حكم استعمال التقنيات الحديثة من المنظور الشرعي- الانترنت أنموذجا-
- المبحث الثاني: مجالات استعمال الانترنت في البحث العلمي.
- المبحث الثالث: الانترنت في البحث العلمي بين الإيجابيات والسلبيات.

حكم استعمال التقنيات الحديثة من المنظور الشرعي- الإنترنت أنموذجا:- قبل التطرق لحكم استعمال الوسائل الحديثة- وخصوصا الانترنت-، يجدر بنا أن نقف على تعريف مختصر للإنترنت.

1/ تعريف الانترنت: تم اشتقاقها من المصطلح الإنجليزي International Network، وتعني الشبكة العالمية.

وهي: (شبكة الشبكات، تشبك بين الملايين من أجهزة الكمبيوتر والشبكات المحلية، تتيح كما هائلا من المعلومات في مختلف المجالات في ظرف زمني قصير)⁽¹⁾.
أول ظهور لهذه الشبكة كان في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1969، لغرض ربط مجموعة مواقع الجيش الأمريكي ببعضها، فكانت الغاية الأولى في استعماله عسكرية⁽²⁾.
2/ حكم استعمال الانترنت:

من المقرر عقلا وواقعا أن وسائل التواصل الحديثة- وعلى رأسها الانترنت- هي آليات ووسائل وطرائق تستعمل لغايات معينة وأهداف مخصوصة، وهي وسائل حديثة ومعاصرة مقارنة بما عرفه الإنسان في القرون السابقة، فهل يباح استعمالها من المنظور الشرعي الديني؟

إذا بحثنا في نصوص الكتاب والسنة، فإننا لن نجد أدلة تفصيلية يُستند إليها لمعرفة حكم استعمالها، فهي من المسائل التي لم يرد فيها دليل بالجواز ولا دليل بالمنع، وعليه فإن بحث حكم هذه المسألة المستجدة عن طريق إيجاد دليل تفصيلي لها ضرب من المحال.

وإذا اتفقنا على أن من أهم قواعد الشريعة الإسلامية وأبوابها: باب الاجتهاد على ضوء نصوص الشرع وقواعده، ومن أهم القواعد التي تحكم المسائل في الشرع: قاعدة المصلحة والمفسدة، وقاعدة الوسائل والغايات... الخ

من المقرر شرعا - باستقراء الأدلة الكثيرة- أن الوسيلة تأخذ حكم الغاية جوازا ومنعا⁽³⁾، وأن الوسائل خاضعة لباب الاجتهاد غالبا، وأنه لا يعقل أن يشترط لكل وسيلة دليل شرعي تفصيلي، ومن القواعد المقررة قاعدة المصلحة المرسل- وهي المسألة التي لا نجد لها دليلا يمنع ولا دليلا يجيز- فهي مرسله ومطلقة عن الدليل التفصيلي، فإذا ما قرر المجتهد أن فيها مصلحة راجحة حكم بأنها مشروعة، ودليله عموم المصلحة.

لذا قرر علماء الشرع مبدأ الوسائل والغايات على ضوء المصالح والمقاصد، يقول العلامة ابن القيم عليه رحمة الله مقررًا هذا المعنى الجليل: (لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها، معتبرة بها)⁽⁴⁾.
 وخير من تطرق لعلاقة الوسائل بالغايات، والأسباب بالمآلات الإمام المجدد المقاصدي الشاطبي في موافقاته، حينما بحث قاعدة النظر في مآلات الأفعال⁽⁵⁾.
 وكخلاصة لهذه الجزئية:

إن الشرع يحكم على الوسائل بما يلي:

-إذا نص الشارع الحكيم على اعتبارها مشروعاً، فهي معتبرة ومشروعة، كالسفر للحج، فإن النصوص قد نصت على مشروعية هذه الوسيلة.
 -إذا نص الشارع الحكيم على إلغائها، فهي محرمة وغير مشروعاً، كالذي يسرق ليتصدق على الفقراء، إذ ورد الشرع بتحريم السرقة، والغاية لا تبرر الوسيلة.
 -إذا سكت الشرع عن حكم الوسيلة جوازا أو منعاً، فإنها تدخل تحت المصالح المرسلّة التي دلت النصوص العامة على أنها من الدين، بشرط أن تحقق مصالح حقيقية غير متوهمة، ويدخل في هذا الباب كل وسيلة توصل إليها الإنسان وحققت مصالح معتبرة غير متوهمة⁽⁶⁾.

وبإسقاط ما ذكرناه آنفاً من أحكام نظرية، على وسائل التواصل الحديثة- وفي مقدمتها الانترنت- نقف على حكمها الشرعي.

وللتفصيل في المسألة:

إنه لم يرد في الشرع دليل بالمنع ولا بالجواز، فهي مرسلّة ومطلقة عن الدليل، فيكون حكمها منوطاً بتحقيق المصالح أو المفساد، وهذا ما سنبحثه في المبحث الثالث.
 مجالات استعمال الانترنت في البحث العلمي: لقد بات من المؤكد عند الناس أن وسائل التواصل الاجتماعي المتعلقة بشبكة الانترنت، صارت وسيلة من وسائل نقل المعلومات وتبادلها على نطاق واسع، سواء ما تعلق بالأخبار السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية،- صادقة كانت أم كاذبة- كما أنه من المتعارف عليه في الأوساط العلمية أن شبكة الانترنت قد صارت مرجعاً مهماً يعتمد عليه الباحثون في مختلف المجالات، لاستقاء معلوماتهم وتوثيقها، بغض النظر عن دقة هذه المعلومات وصحتها.

وسأذكر في هذا البحث كيفية الاستفادة-استعمال- من شبكة الانترنت في البحث

العلمي:

- الاستفادة من المعلومات الشخصية-خصوصا التغريدات- في التحليلات العلمية، للوصول إلى نتائج ماهرة في مختلف المجالات، جاء في جريدة العربي في سبب الانتشار الواسع لاستعمال شبكات التواصل، وازدياد أهميتها وقيمتها: (...ويبدو أن هذا المنجم المعلوماتي 'تويتر' بالفعل قادر على إفادتنا بالعديد من المؤشرات التي تفيد في مجالات متعددة مختلفة...أوردت مجلة 'نيوساينتست' العلمية المتخصصة تقريرا حول الموضوع أشارت فيه إلى أن أحد أقسام الدراسات الجامعية في نيويورك أراد تتبع مدى انتشار فيروس الإنفلونزا في نيويورك، وذلك من خلال تحليل بيانات أيّ تغريدة تأتي فيها كلمة (مريض)أو (مريض بالإنفلونزا)، باستخدام جهاز مبرمج بخوارزميات تتيح له هذا التحليل،...وقد كانت النتيجة مدهشة، إذ أمكن للفريق البحثي أن يحدد مدى انتشار الفيروس في نيويورك، ويصل إلى قدرة على التنبؤ بمدى انتشاره في المستقبل القريب وتحديد بعض المواقع أو الأحياء التي يبدو فيها معدل انتشار العدوى أكبر من غيرها، وتوجيه التحذيرات بالتالي لسكان نيويورك وفقا لهذه المؤشرات).⁽⁷⁾

- التعاون بين الباحثين في مختلف المجالات: جاء في جريدة العربي: (... في تقرير نشرته مجلة الطبيعة العلمية المتخصصة أخيرا نتعرف على قصة باحث شاب يدعى 'إيمانويل نايمكا نادي'، الذي كان في حاجة ماسة إلى مساعدة لتحديد التسلسل الجيني لبعض الفطريات المسببة للأمراض المقاومة للأدوية، وكطالب دكتوراه يدرس علم الأحياء الدقيقة في نيجيريا، لم تتوافر لديه الخبرة أو المعدات التي يحتاج إليها، لكنه توصل إلى شبكة تواصل اجتماعي متخصصة للعلماء والباحثين كانت قد أنشئت قبل فترة من بداية بحثه في عام 2011- وهي 'ريسرش جيت'-، حيث أرسل بضع رسائل بريد إلكتروني، عندما وصله رد من عالم الوراثة الإيطالي 'أورازيو روميو'، نشأ تعاون دولي بين الباحثين، وعلى مدى السنوات الثلاث الماضية عمل العالمان معا على الالتهابات الفطرية في إفريقيا، حيث يقوم 'نادي' بشحن عيناته إلى جامعة 'مسينا' لتحليلها، لقد كانت علاقة مثمرة كما يقول 'نادي'، رغم أنهما لم يلتقيا قط).⁽⁸⁾

- تحميل الأبحاث المختلفة والدراسات العلمية لإعداد البحوث الجديدة: ومما يؤكد أهمية الشبكة العنكبوتية في مجال البحث العلمي ما جاء في وصف جريدة العربي

لبعض الشبكات العلمية، وقد ذكرت على سبيل المثال شبكة 'ريسرش جيت': (في العام 2009، دخلت هذه الشبكة ثورة إتاحة الوصول إلى الأبحاث المنشورة Open Access وهي أداة تساعد الباحثين والعلماء على تحميل أبحاث ومنشورات سابقة مع احترام قوانين واتفاقات حقوق التأليف والنشر، يمكن الحصول على كل هذه الأبحاث والمنشورات ضمن الموارد الداخلية للشبكة التي يمكن لمحرك الباحث الدلالي إيجادها بسهولة، وباستطاعة المستخدمين قراءة وتحميل هذه المنشورات مجاناً)⁽⁹⁾، وفي وصف لشبكة مندلي، قالت العربي: (ويجمع هذا الموقع بين خاصيتين أساسيتين، هما التعامل مع ملفات PDF، وتنظيم وإدارة المراجع البحثية، وهو يتوافر لمختلف أنظمة التشغيل من 'ويندوز ماك'، و'لينكس'،... يوفر 'مندلي' مستعمليه خدمة بتوفير 2 'جيجا بايت' مساحة مجانية للتخزين، وحفظ جميع البيانات الأساسية من مراجع وملفات عند التسجيل في الموقع الرسمي)⁽¹⁰⁾.

ولعل من أبرز ما يمكن ذكره في مجال الاستفادة من الأبحاث العلمية المنشورة عبر شبكة الانترنت-خصوصاً في المواقع العلمية الموثوقة- ما يتعلق بالمكتبات⁽¹¹⁾ والدوريات والموسوعات الرقمية والكتب الإلكترونية⁽¹²⁾، التي توفر الخدمة على مدار الساعة، ولها إمكانية التخزين والصيانة، وتكلفتها منخفضة، وتنعهد معها الحواجز...⁽¹³⁾.

الانترنت في البحث العلمي بين الإيجابيات والسلبيات: من المقرر في مجال البحث العلمي أن البحث يجب أن ينضبط بضوابط دقيقة ويخضع لشروط رصينة، يلزم توفرها في البحث، حتى يصير بحثاً علمياً مقبولاً، وإذا اختل شرط من شروط العلمية لم يقبل، وانتزعت منه صفة العلمية.

ومن أهم هذه الشروط: الأمانة العلمية في النقل، والدقة والموضوعية... الخ، قال محمد التونجي: (إن أهم ما يتميز به الباحث في نسل المعلومات: الأمانة والدقة والنقل الصحيح وتسجيل اسم المصدر والمرجع... على الباحث أن يكون ما يقتبسه كامل الأداء، ولا يكتفي بنصف الجملة إذا كان نصف الجملة الآخر متمماً لها)⁽¹⁴⁾. وقد أكد فضل الله على أهمية هذه الشروط بقوله: (الأمانة العلمية: ومعناها أن يكون أميناً في نقله للأفكار أو التعبير عنها، بحيث يجتهد في فهم المراد من النص، كما يريد صاحبه دون أدنى تحوير أو تغيير فيه، ودون أن ينسب لنفسه من الأفكار ما هو في الحقيقة لغيره، وأن يكون دقيقاً في اقتباسه للمعلومات، بحيث لا يقتبس من النص ما يناسب رأيه ويهمل ما

يخالفه، لأن مثل هذا التصرف المدان والبعيد عن الموضوعية العلمية، يضرب الأمانة العلمية في الصميم، ويجرد الباحث منها جملة وتفصيلاً⁽¹⁵⁾.

وإذا كنا قد وقفنا على أهم استعمالات التقنيات الحديثة-الانترنت- في المجال العلمي، واستعرضنا أهم الإيجابيات والمزايا، كان لزاماً علينا من باب الأمانة العلمية أن نذكر أهم العيوب والسلبيات التي تعتور استعمال هذه التقنيات في البحث، وإليكم أهم هذه العيوب:

- التعدي في بعض الأحيان على حقوق الملكية الفكرية لأصحاب الكتب والأبحاث التي تنشر في مواقع التواصل، جاء في مناهج البحث العلمي: (...مشكلات تتعلق بحقوق الملكية الفكرية، والحاجة إلى عناصر مختلفة للوصول إلى خدماتها، تشمل الأجهزة والبرمجيات وبطاقات الائتمان...)⁽¹⁶⁾.

- السرقات العلمية، والانتحال...، تؤكد الدكتورة كيم كوب-أستاذة علوم البيئة الأمريكية- بأن استعمال الشبكات الاجتماعية غير مناسب للباحثين العلميين للأسباب الآتية: (... من بينها: ضيق الوقت، وعدم إمكان نشر نتائج علمية يصل إليها الباحث على المشاع في بيئة قد تعرض النتائج للسرقة أو الاقتباس، أو خطورة الاضطرار إلى التبسيط الشديد في تناول بسبب طبيعة الوسيط نفسه، والتخوف من احتمال اضطرار الباحث في مثل هذه الوسائط إلى أن يتخذ سمناً لا يناسبه، كأن يتحول إلى محام يدافع عن بحثه العلمي ويبرر نتائجه، أو أن يبدو الباحث كأنه يروج لنفسه وهو ما يتعارض مع قيم الباحثين العلمية)⁽¹⁷⁾.

وغيرها من العيوب التي يذكرها الباحثون في هذا الصدد: كتعويد الباحثين الكسل، وعدم الدقة والتحري....

وإذا رُفنا الإنصاف والموضوعية في هذه المسألة: فإننا نجد بأن مزايا استخدام الشبكة العنكبوتية بالضوابط العلمية الرصينة أرجح وأكثر من العيوب التي يتخلل ذلك، مع عدم التنكر لهذه العيوب.

وخلاصة القول: إن الباحث الموضوعي الأمين: هو الذي يُخضع وسائل التواصل الحديثة للضوابط العلمية المتعارف عليها: كالأمانة والدقة والموضوعية والتحري في نقل المعلومات، فإذا ما توفر لنا ذلك كان هذا الاستعمال مشروعاً، ولا حرج في الاستعانة به، فإن فقدت هذه الشروط أو بعضها كان غلق هذا الباب أمراً حتمياً لا مرية فيه.

الخاتمة:

بعد أن استعرضنا أهم المباحث المتعلقة باستخدام الانترنت، من حيث التعريف، ومجالات الاستعمال، والموازنة بين الإيجابيات والسلبيات، نخلص إلى أن الانترنت وسيلة لتبادل المعلومات ونقلها، وأن حكمها تابع للغاية المنشودة من استعماله، وخاضع للشروط المطلوبة في كل بحث علمي تقليدي، والفيصل في ذلك الضمير الحي للباحث، فهو الذي يقرر مدى إمكانية استعمال الانترنت في البحث العلمي ومدى مشروعيته. لا أدعي أن البحث قد تطرق لجميع ما يتعلق بالمسألة، ورجائي أن يفتح باب البحث على مصراعيه لبحث ما لم تتعرض له ورقتي. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

هوامش البحث:

- (1) مناهج البحث العلمي عبد الغني محمد إسماعيل العمراني، ط2/ 2013 صنعاء، جامعة العلوم والتكنولوجيا: ص 184.
- (2) المرجع السابق: ص 184. بتصرف
- (3) ولها أمثلة كثيرة: كمقدمة الواجب: مثلا السعي إلى الجمعة واجب على الحر الذكر المقيم، لأجل صلاة الجمعة...
- (4) إعلام الموقعين: 3/ 135.
- (5) انظر الموافقات للشاطبي: 4/ 194-195، كتاب الاجتهاد.
- (6) انظر بتوسع كتاب 'من وسائل دفع الغربة' للداعية سلمان فهد العودة: 172-175.
- (7) جريدة العربي، مارس 2014، الكويت، العدد 664: ص 173، لمزيد من البيان يراجع مقال تحت عنوان 'محتويات وسائل التواصل الاجتماعي مادة للباحثين' لإبراهيم فرغلي، ص 168-173.
- (8) جريدة العربي، جانفي 2015، العدد 674: ص 157، مقال تحت عنوان 'الشبكات الاجتماعية العلمية على الانترنت' إبراهيم فرغلي، لمزيد من البيان والتوضيح انظر العربي، العدد 674: ص 155-159.
- (9) العربي، العدد 674: ص 158. مرجع سابق

- (10) العربي، العدد 674: ص 159. مرجع سابق
- (11) المكتبة الرقمية: مكتبة تحتوي على مجموعات ووثائق محزنة في أشكال رقمية يمكن الوصول إليها عن طريق أجهزة الحاسب الآلي وشبكة الانترنت . انظر: مناهج البحث العلمي لعبد الغني العمراني: 205.
- (12) الكتب الالكترونية: قد تكون مصورة ضوئيا من الكتاب الورقي، وقد يكون رقميا يسهل عملية النسخ والطبع والبحث، وقد يجمع بين الأمرين. انظر: مناهج البحث العلمي لعبد الغني العمراني: 211-212.
- (13) انظر: مناهج البحث العلمي لعبد الغني العمراني: 205-212.
- (14) المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، د/ محمد التونجي عالم الكتب 86: ص 88، ومما جاء فيه أيضا: (وهذا ما أخذ على طه حسين وأوقعه تحت سيطرة الناقدین، حين اعتمد على نصف الجمل التي استشهد بها من طبقات ابن سلام)، تحت عنوان: (عملية نسل المعلومات).
- (15) أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، د/ مهدي فضل الله، دار الطليعة بيروت، ط2/ 1998 ص: 33.
- (16) انظر: مناهج البحث العلمي لعبد الغني العمراني: ص 206.
- (17) العربي: العدد 674: ص 156. مرجع سابق